الفصل الخامس عشر

صلة العرب بالكلدانيين والفرس

لا نعلم شيئاً كثيراً عن صلات العرب بالكلدانيين ، فلم تصل الينا كتابات منهم تفصح عن علاقتهم بالعرب . غير ان سكوت هذه الكتابات وعدم وصولها الينا ، لا يمكن أن يكون سبباً يحملنا على التفكير في عدم قيام صلات بين العرب والكلدانيين . فقد رأينا فيما مضى انهم ساعدوا أهل بابل في نزاعهم مع آشور، ثم ان العرب كانوا يجاورون البابليين منذ القديم ، وهذه المجاورة القديمة في حد ذاتها واسطة طبيعية لتكوين الاتصال المباشر بين العرب والكلدانيين .

وقد تحدث الأخباريون عن غزو (بخت نصر) (بختنصر) (٦٠٤ – ٥٦١ق. م.) للعرب في أيام (معد بن عدنان) ، ووصوله الى موضع (ذات عرق) ، كما تحدثت عن ذلك في فصل « طبقات العرب » ، وقد قلت ان رواتـه أخذوا مادته من أهل الكتاب ، وأضافوا اليه مادة جديدة أنتجها ابتداعهم له ، فصار نسيجاً جديداً هو المدوّن في الكتب[1] . وهو حديث لا قيمة تأريخية له ، ولذلك لا يمكن الاطمئنان اليه والأخذ به . وقد قص علينا الأخباريون ألواناً كثيرة من هذا القصص الذي بان لونه وعرف أصله في القرن العشرين .

وأنا لا أريد أن أستبعد احتمال قتال (بخت نصر) مع القبائل العربية، فذلك

---

١ الطبري (٢٩١/١) ، ابـن الاثير، الكامل (١١٧/١) ، (نبوكـد ناصـر) ، (ادي شير) (ص ١٤٠) .

ممكن جداً ، ولا سيما أن بابل مجـــاورة للعرب ، وان توسع هذا الملك ودخوله فلسطين جعل البابليـــين يتصلون اتصالاً مباشراً بالأعـراب ، فلا بد أن يكون (بخت نصر) قد احتك بالعرب واتصل بهم . وقد يكون حاربهم وأوقع خسائر بهم ، لتحرشهم بجيوشه وبحدود امبراطوريته التي شملت البادية الواسعة الفاصلة بين العراق وبلاد الشأم[1] . ولكن الذي نتوقف عنده وننظر اليه بحذر ، هو هذا الطابع المعروف عن الأخباريين ، الذي يروون به كيفية غزو ذلك الملك لـ (معد ابن عدنان) .

وقد يكون (بخت نصر) ، قد بلغ موضع (ذات عرق) وقد يكون بلغ موضعاً آخر أبعد منه ، إلاّ أن الذي أراه أن استيلاء البابليين على الأماكن التي احتلوهـــا من جزيرة العرب إن وقع فعلاً ، فإنه لم يدم طويلاً ، فقد كانت فتوحات الفـــاتحين لجزيرة العرب كالسيول ، تأتي جارفة عارمة ، تكتسح كل شيء تجده أمامها ، ثم لا تلبث أن تزول وتختفي آثارها بعد مدة قصيرة ، لأسباب منها بُعد طرق المواصلات عن عواصم الغازين الفاتحين وعدم وجود مواد غذائية كافية في البلاد المفتوحة لإعاشة جيش كبير ، ليستطيع ضبط القبائل والمحافظة على الأمن ، ومهاجمة القبائل للقوافل التي ترد لتموين الحاميات وللحاميات نفسها ، وعدم تمكن الفاتح من وضع جيش كبير جاهز في كل لحظة للقتال ليصدّ غارات القبـــائل التي تؤلف غالبية سكان جزيرة العرب في ذلك العهد . ثم إن القسم الأكبر من الذين قاتلوا وفتحوا أناس مرتزقة سيقوا الى القتال سوقاً ، خوفاً أو طمعاً ، وقبائل اشترى الفاتحون ساداتها بأطماعهم في مغانم يجنونها أو لدوافع حقد قبليّ ، ومن عادة سادات القبـــائل أنهم مع الفاتح ما دام قوياً سخياً يبذل لهم بكل سخاء ، فإذا ضعف أو أمسك أو دارت الدنيا عليه ، كانوا هم أول من ينقلب عليه . ولذلك صارت أمثال هذا الفتوحات غارات انتقامية سريعة ، لا يلجأ اليها إلاّ بعد تفكير واعداد خطط ووجود ضرورات ملحة تستوجب ارسال مثل هذه الحملات .

ويرى بعض علماء التوراة والبابليات ما جاء في كتاب (دانيال) الذي كتب بعد أيام (بخت نصر) من نبوءة ومن رسالة أرسلها النبي الى ذلك الملك ، ومن

---

1 D.J. Wiseman, Chronicle of Chaldaean Kings, PP. 32, 48, 70, Nebuchadrezzar's Campain in Arabia, 599 B. C.

فتوحات في بلاد العرب ، هو من وضع كاتب تلك الرسالة ، وضعه ليثبت نبوءته ، وأن ذلك الكاتب أخذ فتوحات (نبونيد) فنسبها الى (بخت نصر)[1]. أما أنا ، فلا أريد أن أثبت فتوحات (بخت نصر) ، ولا أريد أن أنفيها في هذا العهد ، فوصول (بخت نصر) الى الحجاز أمر ممكن ، وسوف نرى أن (نبونيد) قد وصل الى مدينة (يثرب) ،فليس بمستبعد وصول (بخت نصر) الى الحجاز ، بعد أن استولى جيشه على فلسطين ، وصار في إمكانه الزحف نحو الجنوب ، ولكن الذي أراه الآن هو الترجيح ، فلعلّ الزمن يجود علينا بنصوص قد تتحدث عن حروب وفتوح أمر بها هذا الملك في بلاد العرب : وكتاب (دانيال) ، وإن كُتب على شكل نبوءة ، لا يستبعد أن يكون قد استمد خبر النبوءة من وثيقة أو خبر شائع ، فصاغه في شكل نبوءة ، ليثبت نبوءته لبني اسرائيل .

وقد أخبرتنا الكتابات البابلية أن (بختنصر) (Nebuchadrezzar) أرسل في شهر (كسلو) (Kislev) (Kislew) من السنة السادسة من ملكه المقابلة لسنة (٥٩٩ ق. م.) حملة على العرب الساكنين في البادية ، نهبت أملاكهم وما عندهم من مواشي ، وسرقت آلهتهم ثم عادت[2] . ولم يذكر النص البابلي اسم البادية التي هاجمها الجيش البابلي ولا اسم القبائل التي هاجمها ، ولم يذكر أيضاً اسم المواضع التي تحرك منها الجيش لمهاجمة العرب . ويرى الباحثون احتمال مهاجمة البابليين للعرب من (حماة) (Hamath) أو (ربلة) (Riblah) ، أو (قادش) (Kadesh) ، فتوغل جيش (بختنصر) في البادية ، ثم عاد حاملاً معه ما ذكر في النص من أسلاب ومن مواشٍ وآلهة العرب أي الأصنام .

وكانت غاية البابليين من تأسير الأصنام وأخذها ، هو اكراه القبائل على الاستسلام والخضوع لهم ، لما للأغنام من أثر كبير في نفوسها ، وقد رأينا ان ملوك الآشوريين مثل : (سرجون) و (سنحريب) و (أسرحدون) كانوا قد أسروا أصنام العرب وأخذوها معهم الى آشور وكتبوا عليها شهادة الأسر والوقوع في أيدي الآشوريين ، ليؤثروا بذلك نفسياً في نفوس أتباعها وعبّادها

---

١ S. Smith, Babylonian Historical Texts, P. 35.

٢ Br. Mus. 21946, D.J. Wiseman, Chronicles of Chaldaean Kings, London, 1956, P. 31, 48, 71.

ويكرهوهم على الخضوع لهـــم وعلى مساومة الآشوريـــين لاستردادها في مقابل الاستسلام لهم وتأييد سياستهم وعدم التحرش بهم . ولم يذكر النص البابلي أسماء تلك الآلهة .

وكانت غاية (بختنصر) من ارسال حملته هذه على العرب، هو حماية حدود (حماة) وبقية مشارف فلسطين وبلاد الشام من الأعراب واخضاعهم لحكمه ، ثم تأديب بعض القبائل التي تحرشت به على ما يظهر حين دخوله بلاد الشام وفي جملة ذلك فلسطين . واستناداً الى ما جاء في (سفر إرميا) نستطيع أن نقول ان (قيدار) كانوا على رأس القبائل العربية البارزة التي غزاها جيش (بختنصر) وكذلك (بني المشرق) (أبناء المشرق) و (ممالك حاصور) . ونظراً لوجود تشابه كبير بين الرواية البابلية عن حملة (بختنصر) على العرب وبين ما جاء في (سفر إرمياء)[1] ، أرى ان مدوّن السفر قد أخذ خبره هذا الذي صيّره نبوءة من موارد بابلية ثم كيّفه على النحو المذكور .

ولدينا خبر رواه لنا (اكسينوفون) (Xenophon) ، يفيد أن (بختنصر) لما حمل على مصر أخضع (ملك العربية) . وقـــد قصد بذلك حملته على مصر سنة (٥٦٧) قبل الميلاد[2] .

والخبر التأريخي الثاني الذي وصل الينا عن صلات البابليين المتأخرين بالعرب، هو ما ورد عن الملك (نبونيـــد) (Nabonid) (Nabonidus) (٥٥٥ — ٥٣٨ ق. م.) (٥٥٦ — ٥٣٩ ق. م.) من اتخاذه (تيماء) مقراً له . ففي السنة الثالثة من حكمه جرد حملة على (أدومو) (Adumu) (Adummu) أي (دومة) (دومة الجندل) ، وسار منها الى (تيماء) ، سالكاً طريقاً لم تعرف في الزمن الغابر ، على رأس جيشه ، جيش أرض (أكد) (أكاد) . فلما وصل اليها ، أعمل فيها السيف ، وقتل أميرها وأهلها ، والظاهـر ان ذلك بسبب مقاومتهم له وعنادهم في الدفاع عن مدينتهم ، ثم طاب له أن يستقر بها، فابتنى بها قصراً ضخماً له جعلوه كالقصر الذي في بابل ، وحلت (تيماء) محل

---

١ الاصحاح ٤٩ ، الآية ٢٧ وما بعدها .

٢ Xenophon, Cyropaedela, I, 5, 2, Naval, P. 216.

بابل ، أي صارت عاصمة لملك البابليين[1] :

ويرى العلماء أن حملة (نبونيد) على (دومة الجندل) (ادومو) (Adummu) (وتيماء) (Tema) كانت في سنة (٥٥٢ ق. م.)[2] . وقد جاء اليها سالكاً الطريق البرية المؤدية من بلاد الشام الى شرقي الأردن ، الطريق التي يسلكها حجاج بلاد الشام في الإسلام الى مكة . وبعد أن قضى على حكام المدينتين استقر في (تيماء) ومعه حرسه البابليون . ويظهر من اشارته في نصّه المدوّن عن أخبار فتوحاته أنه سلك في وصوله الى (تيماء) سبيلاً لم يسلكها الأقدمون من قبل ، ومن اشارته الى قتله (ملك تيماء) وسكان المدينة أن المدينة في أيامه كانت مستقلة ، يحكمها ملك من أهلها ، وأن البابليين لم يكونوا قد حكموها قبله[3] .

وقد أقام (نبونيد) سنين في عاصمته الجديدة . أما ابنه (بلشاصر) (بلشصر) (بلشسر) (Belsharrusur) (Belsazar) ، فكان بـ (بابل) مع الجنود البابليين . ويظهر أنه أقام بهذه المدينة حتى السنة الحادية عشرة من حكمه ، وربما أقام بها أكثر من ذلك قليلاً ، حتى اضطر الى تركها والعودة الى بابل ، بظهور الفرس ، الذين هدّدوا البابليين ، ووسعو ملكهم ، وصاروا على مقربة من بابل . فقد تغلب (كيرش) (كورش) (Cyrus)[4] على العربية وأدخلها في جملة أملاكه ، وعين عليها مقيماً سياسياً فارسياً (ستراب) (Satrap) ، ويظهر أن حملته هذه على العربية كانت حوالى سنة (٥٤٠ — ٥٣٩ ق. م) ، وأن (نبونيد) كان قد ترك (تيماء) ، وجاء الى بابل قبل تغلب (كيرش) على العربية[5] .

وقد يتساءل المرء عن الأسباب التي حملت (نبونيد) على ترك بابل والالتجاء هذه السنين الى (تيماء) : أهي شؤون سياسية خطيرة حملته على السكنى في هذه

---

١ Musil, Negd, P. 225, Meissner, Koenige, S. 208, Sidney Smith, Babylonian, P. 88, Dougherty, Nabonides, and Belshazzar, New Haven, 1929, PP. 106, Reall. I, 5te, Lieferung, S. 383.

٢ S. Smith, P. 53.

٣ راجع السطر ٢٤ من النص S. Smith, P. 88.

٤ (كيرش) ، الطبري (٥/٢) ، (٦٥٣/١ ، ٦٩١ ، ٧١٨) ، (طبعة ليدن) ، (كورش) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، (ص ٨١) ، (بيروت ١٨٩٠) .

٥ S. Smith, Baby. Hist, P. 82, 102, The Cambridge Ancient History. IV, P. 194.

المدينة البعيدة عن عاصمته القديمة ، أم هي عوامل عسكرية ، أو اقتصاديـــة أو بواعث شخصية لا تتعلق بهذه ولا بتلك ؟ أما اجابات المؤرخين ، فهي مختلفـة ومتنوعة . منهم من رأى أن لتيماء أهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية لوقوعها في ملتقى طرق تجارية عالمية بالنسبة الى ذلك العهد ، والاستيلاء عليها والبقاء فيهـــا معناه كسب عظيم ، وربح كبير بالنسبة الى عالم السياسة في ذلك اليوم . ومنهم من رأى أن ذلك كان لأثر مزاج الملك وطبيعته ورغبته في التخلص من أمراض بابل ؛ بسكناه في محل جاف مرتفع زهاء (٣٤٠٠) قدم عن سطح البحر .

وتيماء مركز مهم ، ذكر كما رأينا في نصوص الآشوريين ،وهو من الأماكن القديمة المذكورة في التوراة ، وهو فيها كناية عن أحد أبناء اسماعيل ، مما يدل على انه كان من المواطن الإسماعيلية ، ويقع على مسافة (٢٠٠) ميل الى الجنوب الشرقي من رأس خليج العقبة ، وبمثل هذه المسافة الى الشمال من المدينة ، وعلى بعد (٦٥) ميلاً من شمالي العلا . وبها عين غزيرة المياه ، هـــي التي بعثت الحياة في هذا المكان .. وتعـد أشهر عـــين ماء في جزيرة العرب[1] ، تستعمل للسقي ، ولإرواء المزارع التي تنبت مختلف الفواكه والتمور والحبوب . وهواؤها صحي جيد ، ولا تزال مأهولة ، فهي في الزمن الحاضر ، كناية عن قرية يزيد عدد سكانها على الألفين ، يسكنون في بيوت من طين وفي أكواخ[2] .

وعلى مقربة من (تيماء) خربة فيها أحجار ضخمة مربعـــة ، وبقايا عمران قديم يظن بعض العلماء انها موضع معبد عتيق . ويرى بعض من زارها انها كانت مدينة لا تقل ضخامة عن (الحجر) وعن المـدن الأخرى التي ترى آثارها في العربية النبطية حتى الآن . ولم تفحص هذه الخربة التي يسميها الناس (توما) (Tuma) فحصاً علمياً[3] . وقد يعثر فيها على كتابات آشورية وبابلية ويونانية وإرمية وعربية ترينا أثر الاتصال الثقافي الذي كان في هذه المواضع التي تعد ملتقى القوافل والتجار والثقافات .

---

١ Hastings, P. 897, Doughty, Arabia Deserta, I, Chapt. 10, 19, Jaussen, and Savignac, Archéologique en Arable, II, Part, I, Chapt. 4, Musil, Oriental Explorations, V, P. 224, Montgomery, P. 66.

٢ وهبة ، جزيرة العـــرب (ص ٧٥ فما بعدها) .

٣ S. Smith, Baby Hist. Text. P. 80.

وقد عثر في هذه الخربة على حجر مكتوب بلغة بني إرم ، يرجع تأريخه الى القرن الخامس قبل الميلاد ، ورد فيه ان أحد الكهـــان استورد صنماً جديداً الى تيماء ، وبنى له معبداً ، وعيّن له كهاناً توارثوا خدمة (صلم‌هجم) . و (صلم) بمعنى صنم . وقد مثل صنم (هجم) في زي آشوري ، وظهر في أسفل الرسم رسم الكاهن الذي شيّد ذلك النصب . وقد نشرت ترجمة الكتابة الإرمية . ويرى (سدني سمث) ان تأريخها يرجع الى ايام (نبونيد) ، فلعله صنع في ذلك الزمن بتأثير البابليين[1] .

ولطول اقامة (نيونيد) في (تيماء) ، لا يستبعد أن يجيء يوم قد يعثر فيه على كتابات أو آثار أخرى ترجع الى هذا الملك . فلا يعقل أن تذهب ذكريات ايامه كلها من هذه المدينة ، وينطمس أثر قصره عنها ، ذلك القصر الذي بالغ الملك في وصفه وأراد أن يجعله في مستوى قصور بابـــل . وقد يعثر فيها على مراسلاته مع مدينته بابل ومع الحكومات الأجنبية التي كانت في أيامه ومـــع الأعراب . واذا حدث ذلك ، فقد نجد شيئاً جديداً لا نعرفه عن ايام تيماء في عهد نبونيد .

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن (تيماء) التي استقر بها (نبونيد) هي تيماء أخرى تقع في العروض على ساحل الخليج ، وحجتهم في ذلك أن المسافة بـــين تيماء الحجاز وبابل ، كبيرة واسعة ، تجعل من الصعب تصور اقامة (نبونيد) في هذا المكان . أما العروض فإنه على اتصال ببابل ، ولا يفصل بينهما حـــاجز أو فاصل أو عائق ، ولهذا ذهبوا الى احتمال وقوع (تيماء) في العروض[2] ، كما ذهب بعض آخر الى احتمال كون (تيماء) (تيمان) المذكورة في التوراة[3] . وهي أرض (أبناء الشرق)[4] ، وملتقى طرق القوافل القادمة من بـــلاد الشام ومصر والعراق والجنوب[5] . غير أن الباحثين في هذا اليوم متأكدون من أن (تيماء)

---

١ Smith, Baby. Hist. Texts. P. 79, Corpus Inscriptionum Semiticarum, Pars, Secunda, Plate, IX, Tome, I, P. 107, Montgomery P. 67, Hogarth, Penetration of Arabia, P. 280, Cooke, North Semitic Inscriptions, P. 195.

٢ Negd, P. 226.

٣ ارميا ، الاصحاح التاسع والاربعون الاية ٧ ، عوبديا ، الاية ٩ ، وعاموس الاصحاح الاول ، الاية ٢ ، حبقوق ، الاصحاح الثالث ، الاية ٣ .

٤ قاموس الكتاب المقدس (٢٩٦/١ فمابعدها)

٥ Negd, P. 225.

(نبونيد) هي (تيماء) الحجاز ، في المملكة العربية السعودية .

فقد عثر في (حرّان) على كتابة مهمة جداً في بحثنا هـذا ، دوّنها الملك (نبونيد) ،عثر عليها في سنة (١٩٥٦ م)،وكانت مدفونة في خرائب جامع حرّان الكبير ، وترجمت الى الانكليزية ، وإذا بها تتحدث عن تأريخ أعمال ذلك الملك، ومما جاء فيها : انه لما ترك (بابل) وجاء الى (تيماء) ، أخضع أهلها ، ثم ذهب الى (ددانو) (ديدان) و (بداكو) و (خبرا) و (ايديخو) حتى بلغ (اتريبو)[١] . ثم تحدث بعد ذلك عن عقده صلحاً مع (مصر) و (ميديا) (ما ـ دا ـ ا ـ ا) (مـادا ا) (Ma-da-a-a) (Medes) ومع (العرب) (مات ا ـ را ـ بـي ـ او) (Mat A-ra-bi-u)[٢] . وقد ختم العمود الذي جاء فيه هذا الخبر بأسطر تهشمت جمل منها ؛ يفهم من مآلهـا أن العرب المذكورين أرسلوا اليه رسلاً ، عرضوا عليه عقد صلح معه ، واستسلامهم لـه ، فوافق على ذلك ، بعد ان كبّدهم جيشه خسائر فادحة ، وأسر منهم ، ونهب . ولم تذكر تلك الأسطر المواضع التي حارب فيها جيش (نبونيد) أولئك الأعراب[٣]. وقد يفهم من هذه السطور الأخيرة ايضاً ان بعض هؤلاء العرب هاجموا البابليين، ونهبوا المناطق الخاضعة لهم بالرغم من عقدهم الصلح معـه ، وموافقتهم على ان يسالموه ، وهذا ما دعاه على ارسال حملات تأديبية عليهم ، انزلـت بهم خسائر فادحة[٤] .

ولم يكن نص (نبونيد) مغروفاً بين العلماء يوم اختلفوا في تعيـين موضع (تيماء) . أما اليوم وقد نشر النص وترجم ترجمة دقيقـة صحيحة ، وعرفنا منه (فدك) و (خيبر) و (يثرب) ، وهي مواضع معروفة مشهورة حتى اليوم وتذكر مع (خيبر) ، فقد أجمع العلماء على أن (تـيماء) (نبونيد) هي (تيماء) الحجاز من دون أي شك ، وان موضع اقامـة ملك بابل وقصره

---

١ راجع السطرين ٢٤ و ٢٥ من النص الموسوم :
Nabonidus H2, A and B, In Anatolian Studies, By C. J. add, The Harran Inscriptions of Nabonidus, VIII, 1958, PP. 35.

٢ السـطر ٤٢ وما بعده من النص المذكور .

٣ راجع الاسطر من ٤٣ حتى ٤٨ من النص .

٤ Anatolian Studies, VIII, 1958, P. 76, A. R. Burn, Persia and the Greeks, P. 38.

كان في هذا المكان من الحجاز .

ولما كان استيلاء (نبونيد) على (تيماء) في حدود سنة (٥٥١ – ٥٥٢ ق. م.) وجب أن يكون زحفه على الأماكن المذكورة بعد ذلك ، والظاهر ان الذي حمله على التوغل في الجنوب ، رغبته في السيطرة على أخطر طريق برية للتجارة ، تربط بلاد الشأم بالعربية الجنوبية ، وهي طريق قديمة مسلوكة ، تسلكها القوافل التجارية المحملة بأنفس التجارات المطلوبة في ذلك العهد ، ثم السيطرة على البحر الأحمر ، وذلك بالاستيلاء على الحجاز وعسير واليمن وربما على العربية الجنوبية كلها . ولو تم له ذلك ، لكان ملكه قد بلغ المحيط الهندي . ومن يدري ؟ فلعل اختياره (تيماء) مقراً له ، وتجوله في الأرضين الواقعة بينها وبين (يثرب) كان لهذا السبب ، أي لتنفيذ تلك الفكرة الخطيرة ، فكرة السيطرة على جزيرة العرب وبلوغ المياه الدافئة للوصول الى إفريقية والهند والعربية الجنوبية ! إلا أن فكرته هذه لم تتحقق كما يتبين من النص ، فكان أقصى ما وصل اليه (يثرب) ، ثم توقف عند ذلك المكان .

ويرى بعض الباحثين الذين درسوا كتابة (حرّان) هذه أن الصلح الذي أشار اليه الملك يجب أن يكون قد عقد في حوالي سنة (٥٤٨ ق. م.) في مدينة (تيماء) عاصمة الملك الجديدة ، وأن الصلح الذي عقد مع الأعراب قد وقع في (تيماء) أيضاً ، وأن الهجمات التي هاجم بها بعض الأعراب البابليين وقعت إبان وجوده في هذه العاصمة وقبل رحيله عنها الى (بابل) ، ولكن من هم العرب الذين عقدوا الصلح مع (نبونيد) ؟ ومن هم العرب الذين هاجموا جيشه والأرضين التي خضعت له ؟ إن النص لم يشر اليهم ، ولم يتحدث عنهم ، وهم بالطبع قبائل عديدة ، قد يكون منها قبائل سالمت البابليين وحالفتهم ، ومنها قبائل عارضتهم وكرهتهم ، ثم إن بين القبائل منافسة وأحقاد وحسد ، فاذا حالفت قبائلٌ حكومةً ما ، حسدتها القبائل المنافسة ، فهاجمتها وهاجمت الحكومة التي عقدت معها الحلف ، لإثبات نفسها ، ولاظهار وجودها ، ولأخذ الزعامة منها ، وهذا داء القبائل منذ كان النظام القبلي .

والذي أراه أن الحجاز لم يكن آنذاك تحت حكومة واحدة يرأسها ملك واحد ، وإنما كان على نحو ما كان عليه عند ظهور الإسلام ، حكومات قرى ومدن وقبائل . ويؤيد ذلك ما جاء في النص البابلي عن (تيماء) أن (نبونيد) ، (قتل

بالسلاح ملك تياء) (ملكو)[1] . ومعنى هذا أنها كانت في حكم حاكم يلقب نفسه بألقاب الملوك . ولا أستبعد أن يكون حال (ديدان) و (خيبر) و (فدك) و (يديع) و (يثرب) مثل حال هذه المدينة ، أي عليها حكام يلقبون أنفسهم بألقاب الملوك . ولا أستبعد أيضاً أن يكون حالها أو حال بعضها على نحو حال هذه المدن يوم ظهور الإسلام أي تحت حكم سادات المدينة والأشراف يشتركون معاً في الحكم ويتشاورون فيما بينهم عندما يحدث حادث ما في مدينتهم أو قريتهم في أمور السلم وفي أمور الحرب .

ووضع سياسي على هذا النحو ، لا يمكن أن يقاوم جيشاً لجباً قوياً عارماً كجيش بابل المدرّب على القتال ، والذي يعيش على الحروب ، ولذلك انهار بسرعة وسلم أمره الى البابليين . ومن هنا نشتم من نص (نبونيد) رائحة الاستخفاف بأسلحة (العرب) ، أي الأعراب سكنة هذه المواضع ، وبأسلحة تلك المدن التي استسلمت له . وكل ما فعله الأعراب أنهم تراجعوا الى البوادي ، وصاروا يشنّون منها غارات على البابليين ليأخذوا منهم ما يجدونه أمامهم ، فاذا تعقبهم البابليون عادوا الى معاقلهم وحصونهم : الصحراء .

وقد عثر على كتابة ثمودية وردت فيها جملة : (رمح ملك بابل) ، وعلى كتابة ثمودية أخرى جاء فيها : (حرب دون) (حرب ديدان)[2] . وقد فسر العلماء الجملتين المذكورتين بأنهما اشارة الى الحرب التي نشبت بين البابليين وأهل ديدان في أيام (نبونيد) ، وان أهل تلك المناطق صاروا يؤرخون بها لأهميتها عندهم كحادث تأريخي[3] . فالكتابتان اذن تحددان وقت تلك الحرب ، وتعينان مبدأ تقويم يؤرخ بموجبه عند أهل ثمود . غير اننا لم نتمكن من الوقوف على ذلك المبدأ من الكتابتين المذكورتين ، لقصرهما ولعدم وجود مفتاح معهما يفتح لنا الباب لنصل منه الى الموضع الذي حفظ فيه سر ذلك التأريخ .

أما موضع (Da-da-nu) (دادانو) ، فانه (ديدان) ، وهو موضع معروف مشهور ، ورد ذكره في (العهد القديم) ، وفي عدد من الكتابات[4] :

---

١ Anatolian Studies, Vol. VIII, 1958, P. 84.

٢ A. Van den Branden, Textes Thamoudéens de Philby, Vol. II, PP. 54.

٣ Anatolian Studies, 1958, VII, PP. 78.

٤ W. Caskel, Lihyan und Lihyanisch, 1954, W. F. Albright, Dedan, in Geschichte und Atles Testament, 1953, A. Van den Branden, La Chronologie de Dedan et de Lihyan in Bibliotheca Orientalis, XIV, 1957, 13.

وتحدثت عنه في مواضع من هذا الكتاب ، فكـان اذن في جملة الأرضين التي خضعت لحكم (نبونيد) .

وأما (Pa-dak-ku) (بداكو) ، فهو موضع (فدك) ،ولم يكن مشهوراً في الأخبار القديمة ، وانما اشتهر في ايام الرسول ، الا أن عدم اشتهاره لا يمكن أن يكون دليلاً على عدم وجوده في أيام (نبونيـد)[1] . وربما لا يستبعد أن يعثر في خرائبه على آثار من عهد (نبونيد) وقبل عهده ، اذ كان معروفاً قبل أيامه ، بدليل ذكره في جملة المواضع التي استولى عليها هذا الملك .

وأما (Hi-ib-ra-a) (خي – اب – را – ا) (خيبرا) ، فهو موضع (خيبر) . وهو موضع معروف وقـد كان من مواطن يهود في أيام النبي . وهو موضع (خيبر) الذي أرخ بحرب وقعت فيه في حوالي سنة (٥٦٨ م) (بعد مفسد خيبر بعام)[2] .

وموضع (Ia-di-hu-u) (Iadihu) ، وهو موضع (يديع) ، ويقع بين (فدك) و (خيبر) ، وقد ذكره (ياقوت الحموي) والهمداني[3] :

وأما (Iatribu) (ايتريبو) ، فهو موضع (يثرب) أي المدينة . وقد ذكر في جغرافيا (بطلميوس) ، فيكون نص (حرّان) اذن أقدم نص ذكر اسم هذا المكان .

و (يثرب) اذن آخر موضع استولى عليه البابليون في الحجـاز وألحقوه بمملكتهم مملكة بابل . لسكوت النص عن ذكـر مواضع أخرى تقع في جنوبها ولو كانوا قد تجاوزوها لذكروا اسم الأماكن التي استولوا عليها من دون شك .

وقد استطعنا بفضل هذا النص التأريخي الخطير من العثور على خبر (يثرب) في وثيقة تعود الى ما قبل الميلاد بكثير ، فعلمنا منه انها كانت مدينة عامـرة قديمة ، وانها كانت أقدم بكثير مما تصوره أهل الأخبار عن نشوئها، ثم استطعنا

---

١ Anatolian Studies, 1958, P., 81.

٢ E. Combe, J. Savaget et G. Wiet, Repertoire Chronologique D'épigraphie Arabe, I, P. 3, No. 3.

٣ البلدان (٤/١٠١٣ ؛
Anatolian Studies, 1958, Vol., VIII, P. 83, F. Wuestenfeld, Das Gebiet von Medina, S. 161, Arabien, S. 22.

أن نفهم ان العراقيين كانوا قد استولوا على منطقة مهمة من الحجـاز في ذلك العهد ، وان بعد المسافات بين الحجاز أو العربية الجنوبية لم يحل بين الآشوريين والبابليين من التوغل مسافات شاسعة في جزيرة العرب من طرفيها ومن اجتياز نجد أيضاً ، كما رأينا من وصولهم الى جنوب البحرين على الخليج والى سبأ والى يثرب في هذا العهد .

وقد تنقل (نبونيد) مدة عشر سنوات في هذه المنطقـة التي فتحها من الحجاز ، في أرض يبلغ طولها حوالي (٢٥٠) ميلاً من (تيماء) الى (يثرب) وحوالي (١٠٠) ميل عرضاً ، يراجع أهلها وينزل بين قبائلها ، ويختلط بها ، ثم يعود الى عاصمته تيماء ، حيث يسير منها أمور الدولة . ويظهر أنه تطبع من خلال اقامته هذه المدة بين العرب ببعض طباعهم ، واقتبس بعض مصطلحاتهم حيث وردت في النص[١] :

ويرى بعض من عالج هذا النص ودرسه أن الملك البابلي نقل معـه خلقاً من العراق ، وأسكنهم في هـذه الأماكن الحجازية ، في المواضع المذكورة وكان يأتي اليهم من تيماء ، ليتفقد أحوالهم ، وليرى بنفسه سبل الدفاع عنهم وحمايتهم من غارات الأعداء . ويرون أيضاً أن في جملة ما جاء بهم الى هـذه الأماكن اليهود : يهود من بابل ، ويهود من فلسطين ، كما رأوا أن اليهود كانوا قد سكنوا هذه المواضع من قبل ، وربما كان ذلك منذ جاء اليهود الى فلسطين ، فأقامرا بها الى أيام النبي[٢] :

ويظهر أن الملك (نبونيد) كان قد وضع خطة للهيمنة على الأرضين ولالحاقها نهائياً ببابل ، وذلك باسكان أتباعه بها واجبارهم على الإقامة فيها . وقـد نفذ خطتـه هذه فعلاً ، ووزع من كان قد جاء بهم معه على هذه المواضع بأن انتزع الأملاك من أصحابها العرب وأعطاها للمستوطنين الجدد ، وحمـاهم بجيش وضعه في كل مكان لصدّ غارات الأعراب عليهم : ولتقوية معنـوياتهم ولتثبيت قلوبهم في البقاء في هذه الأرضين الجديدة . صار يتفقد شؤونهم بين الحين والحين ويزورهم . ولكن الخطة لم تنجح ، لأن الظروف السياسية والعسكرية أكرهتـه

---

١ Anatolian Studies, Vol. VIII, 1958, P. 84.

٢ Anatolian Studies, 1958, Vol. VIII, PP. 86, Le Muséon, 1961, 1-2, P. 146.

على العودة الى بابل ، فات مشروعه مع عودته ، فلم تلحق تلك الأرضين ببابل، غير أن أكثر المستوطنين الجدد بقوا في هذا الأماكن ، وفي جملتهم اليهود الذين ازداد عددهم بمرور الأيام وكوّنوا مستعمرات يهوديـة وصلت (يثرب) في الجنوب .

لقد ترك فتح (نبونيد) لهذه الأرضين من الحجاز وبقاء بعض من نقلهم الى هذه المواضع فيها للاستيطان بها أثراً كبيراً من الناحية الثقافية والاقتصادية والحضارية ، وهي نواح لم تدرس حتى الآن ، ولم يهتم بها أحد . ولكن وجود ألفاظ عراقية قديمة في لغة أهل (يثرب) والمناطق الأخرى التي تقع الى الشمال منها، وخاصة في الزراعة ، يدل دلالة واضحة على أثر العراق في أهل هذه المواضع ، فقد يكون قسم منه من بقايا أثر أولئك العراقيين الذين نقلوا الى هذه الأماكن، وقد يكون قسم منه من مؤثرات أخرى وقعت قبل هذا الحادث . قد يكون في أيام (بخت نصر) أو قبله ، وقد يكون بعضه من مؤثرات حوادث وقعت بعد ذلك.

وفي نسخة (قمران) الحاوية لبعض الإصحاحات من العهد القديم ، وقد عثر عليها في نفس الوقت الذي عثر فيه على نص (حرّان) – أخبار قد تساعدنا في توضيح أسباب سوق (نبونيد) لليهود وأخذهم معه ، وإرسائهم بهذه الأرضين الجديدة من أعالي الحجاز ، إرساءً أقرهم فيها وأبقاهم حتى جاء الإسلام فأبعدهم عن الحجاز[1] .

اننا لا نملك نصوصاً بابلية عن مدى بلوغ سلطان البابليين السياسي في جزيرة العرب وعن صلاتهم بالقبائل العربيـة ، لذلك انحصر علمنا بعلاقة بابل بالعرب في الأمور التي ذكرتها . وقد عثر على نص في مدينة (عانة) ، يثبت وجود صلات تجارية بين بابل والبلاد العربية كما يشير الى أثر بابل في الحياة العربية[2] .

أما علاقات البابليين بأهل الخليج ، فلا نعرف من أمرها شيئاً ، فلم يرد في النصوص البابلية التي تتحدث عن هذه الحقبة شيء ما عن الفتوحات البابليـة في هذه الأرضين . وقد يعثر على شيء من الكتابات في المستقبل ، تتحدث عن نوع

---

١ Anatolian Studies, Vol. VIII, 1958, P. 87.

٢ A. J. Jaussen-R. Savignac, Mission, No. 138, A. T. Olmstead History of the Persian Empire, P. 294.

الصلات التي كانت بين حكومة (بابل) وأهل الخليج في هذا العهد :

وكل ما نعرفه عن علاقة البابليين بالخليج ، ان البابليين كانوا قد ضمّوا جزيرة (دلمون) أي البحرين الى أملاكهم ، وعينوا عليها حاكماً بابلياً، وذلك بعد سنة (٦٠٠ ق. م.) بقليل .[١]

ومعارفنا بصلات العرب بالأخمينيين (Achaemenian) وبالبارثيين (الفرث) (Parthians) قليلة جداً . ويرى بعض المؤرخين أن العرب كانوا في أيام (الأخمينيين) قد تقدموا في زحفهم نحو الشمال،فدخلت قبائل منهم الى العراق، ووسعت مساحة الأرضين التي كان العرب قد استوطنوها سابقاً ، كما تقدموا في هذا العهد نحو الغرب ، فتوسعوا في بلاد الشأم وفي طور سيناء الى شواطىء نهر النيل ، حيث كانوا قد استوطنوها ، وقد قاموا بخدمات كبيرة نحو ملوك الفرس في زحفهم على مصر[٢] .

ولم يلاق العرب أيــة مقاومــة كانت في أثناء حركاتهم وتنقلاتهم ودخولهم الأرضين التي كان الأخمينيون قد استولوا عليها ، ولكن وجدوا أنفسهم في حرية تامة ، لهم الحق في الذهاب الى أي مكان شاءوا ، وهذا مما مكنهم من الدخول الى أرضين جديدة والى توسيع هجرتهم في الأرضين التي كان الأخمينيون قد بسطوا سلطانهم عليها[٣] .

لقد ذكر (اكسنوفون) (Xenophon) العرب في جملة أتباع الملك (كيرش) (Cyrus) (Kyros) الثاني (٥٥٧ — ٥٢٩ ق. م.) (٥٥٩ — ٥٢٩ ق.م)، وذكر أن هذا الملك عيّن والياً عنه على (العربية) (Arabiai) (Arabioi) ويظهر من ورود لفظة (Arabiai) بعد (Kappadokia) أن المراد بها (الجزيرة)، أي (Mesopotamia) ، أو جزء منها . ويظهر من موضع آخر أن (العربية) هي المنطقة الواقعة في شرق (Araxes) أي (الخابور)[٤] .

وقد ورد في أخبار حملة (كيرش) على (بابل) أن جماعــة من العرب

---

١ Belgrave, P. 56.

٢ Die Araber, I, S. 164.

٣ Die Araber, I, S. 171.

٤ ZDMG. 94, NF. 19, (1940), 202. f. Die Araber, I, S. 165, Xenophon, Anab. I, 5. I.

كانت تحارب معه[1] . وكانت تلك الجماعة من الأعراب الراكبين للجمال . وذلك في سنة (٥٣٩) قبل الميلاد[2] .

ويتبين من مراجعة الموارد اليونانية التي تعرضت لتأريخ وجغرافية العراق، أن اليونان أخذوا يطلقون لفظة (Arabioi) من هذا الوقت فما بعده بمعنى (العرب) و (عرب) ، أي علماً لقوم وشعب على نحو ما كانوا يطلقون من أسماء على الشعوب الأخرى . وقد ذكروهم في جملة شعوب الجزيرة، أي (Mesopotamia) . وقد أخذوا ذلك من (الأيونيين) (Ionien) . وعلى هذا فسيكون مراد (اكسينوفون) وغيره من العربية الأرض التي غلب عليها العرب . ومعنى هذا توسع العرب في زحفهم وتقدمهم نحو الشمال وتغلبهم على أرضين جديدة كان سكانها من بني إرم وغيرهم ، وتعرب كثير من بني إرم وتكوين طبقة عربية مستعربة[3] .

ولما قام (قمبيز) الثاني (قمباسوس) (Cambyses) بغزو مصر سنة (٥٢٥ ق. م.) ، وطلب معونة العرب ، أمدّوه بالجمال ، وبالماء، وساعدوه مساعدة كبيرة لولاها لما تمكن من الوصول الى مصر . ويزعم (هيرودوتس) أن (فانس) (Phanes) ، الذي خان سيده فرعون مصر ، فهرب منه وذهب خلسة الى (قمبيز) وحثّه على فتح مصر ، أشار على الملك بأن يستعين بالعرب ليساعدوه في اجتياز الصحراء . وكان الملك يفكر في الصعوبات التي ستعترض جيوشه في قطع تلك الفيافي والقفار ، ومن أهمها قلة الماء . فلما اقتنع الملك بصواب رأي (فانس) وصدقه ، أرسل رسولاً الى ملك العرب ليتفاوض معه في هذا الأمر ، فوافق العرب على تقديم المساعدات فهيأوا قرباً كثيرة ملؤوها بالماء ، وحملوها على ظهور جمالهم حيث قدموها الى الفرس[4] .

ولم يشر (هيرودوتس) الى اسم الملك العربي الذي وافق على تموين الجيش الفارسي بما يحتاج اليه في حملته على مصر بالماء ، ولم يشر أيضاً الى الأرض التي

---

١ Die Araber, I, S. 171, Xenophon, Cyrup. 7, 5, 14.

٢ Xenophon, Kyrupadie, VII, 4, 16, 5, 13, Grohmann, Arabien S. 171.

٣ Die Araber, I, S. 165.

٤ G. Rawlinson, The History of Herodotus, I, P. 211, 213, The Cambridge Ancient History, IV, P. 20, Herodotus 3, 4, 7, Die Araber, I, S. 167.

كان يحكمها . وقد يكون هذا الملك أحد ملوك النبط الذين كانوا يحكمون في أعالي الحجاز وفي الأقسام الجنوبية من الأردن وطور سيناء ، وقد يكون أحد كبار سادات القبائل العربية الكبيرة في طور سيناء ، حيث كان له سلطان واسع كبير على الأعراب الساكنين في هذه الأرضين .

وأشار (هيرودوتس) في معرض كلامه على تزويد العرب قربهم بالماء ، الى وجود نهر عظيم في بلاد العرب ، دعاه : (كوريس) (قوريس) (Corys) ، زعم انه يصب في (البحر الأريتري) (البحر الأرتيري) (Erythraean Sea) أي البحر الأحمر ، قائلاً : ان هناك من يزعم ان ملك العرب عمل انبوباً من جلود الثيران والحيوانات الأخرى لنقل المياه من النهر الى صهاريج ، أمر بحفرها وعملها في الصحراء لخزن الماء فيها ، وان هناك ثلاثة خطوط من هذه الأنابيب تنقل الماء الى مسافة اثني عشر يوماً من النهر الى موضع هذه الصهاريج[1] .

ولا يعقل أن يكون في بلاد العرب نهر على الوصف الذي ذكره (هيرودوتس) في ذلك العهد . كما ان الأنابيب المذكورة الممتدة الى تلك المسافات المذكورة ، هي من مخيلات القصاص الذين أخذ منهم ذلك المؤرخ خبره . والظاهر ان الذين حدثوه عن ذلك النهر ، كانوا قد سمعوا أو شاهدوا السيول التي تصب في البحر الأحمر في مواسم الأمطار الشديدة ، فتصوروها أنهاراً عظيمة تجري طول السنة . أما الصهاريج ، فإنها معروفة في بلاد العرب ، ولا سيما شمال العربية الغربية ، تأتي اليها مياه الأمطار فتملؤها ، وتغطي فتحاتها ، فلا يعرف مواضعها الا أصحابها ، فاذا داهمهم عدو ، سدوا منافذها ، فلا يصل الى مائها أحد . والظاهر ان الذين أمدوا الفرس بالماء ، كانوا يأخذونه من الصهاريج المنتشرة في مختلف الأماكن ، ومن هنا ظهرت أسطورة نقل المياه اليها من ذلك النهر في ثلاثة خطوط من الأنابيب المصنوعة من الجلود .

وذكر (هيرودوتس) في أثناء الكلام على (دارا) (داريوش) (داريوس) (Darius)[2] ، ان جميع سكان آسية الذين أذلهم (كيرش) (كورش) ثم

---

١ Herodotus, Bk. III, 9, Vol. I, P. 213.

٢ فهرست تاريخ الطبري عمل « دي غويه » ، (ص ١٧٥) ، حمزة (ص ٢٠) ، داريوس ، ابن الطبري (ص ٨٣) ، داريوش » ، الاخبار الطوال (ص ٣١)، « طبعة فلاديمير جرجاس » ، « ليدن ١٨٨٨ م » .

(قمبيز) بعده ، قد اعترفوا بسلطانه ، الا العرب . فهؤلاء لم يخضعوا كالرقيق البتة لسلطان الفرس ، وانما كانوا قد تحالفوا معهم ، وأصبحوا حلفاء وأصدقاء لهم منذ مهدوا الطريق لقمبيز للوصول الى مصر . ولو كانت علاقاتهم غير ودية معهم ، لما تمكن الفرس من القيام بذلك الغزو . وأثنى هـذا المؤرخ على إباء العرب ، وعلى شهامتهم ، وعلى محافظتهم على الوعد والعهود[1] :

وذكر (هيرودوتس) أن الأرضين بين (Phoenicia) ، أي (فينيقية) ومدينة (Cadytis) ، كانت تابعة للسريان الفلسطينيين (Palaestine Syrian). أما الأرضون بين مدينة (Cadytis) وموضع (Jenysus) (Ienysos) ، فقد كانت تابعة للملوك العرب[2] ، ويريد بهم عدداً من سادات القبـائل ولا شك ، ويرى (جيمس رنل) (James Rennell) أن مدينة (Cadytis) هي القدس[3] ويرى آخرون أنها (غزة)[4] . وأما (Jenysus) ، فهي (خان يونس) في جنوب غربي (غزة) على رأي (جيمس رنل)[5] .

يتبين من قول (هيرودوتس) هذا أن العرب كانوا في أيام (قمبيز) أي قبل الميلاد بعدة قرون ، في هذه المنطقة من فلسطين . وانهم كانوا قد انتشروا في (طور سيناء) ، ونزلوا المناطق الشرقية من مصر ، حتى ضفـة نهر النيل : ولهذا السبب أطلق عليها اسم (العربية) دلالة على توغل العرب فيها[6] :

لقد كانت (غزّة) مدينة عربية يحكمها ملوك عرب . وقد كانت في حكم ملك عربي في أيام (هيرودوتس) ، وكانت كل الأرضين الواقعة بين (غزة) وبين (Rhinokolura) تحت حكم العرب أيضاً وذلك منذ أيام الفلسطينيـين[7] . وقد كان يحكم (غزة) في أيـام (هيرود الكبير) ملك من أهل غزة[8] : وقد كانت (غزة) قبيل الإسلام وعند ظهوره فرضة العرب ، يقصدها أهـل

---

١ Herodotus, I, P. 254, 3, 5.
٢ Herodotus, I, P. 212, Bk. III, IV-V.
٣ The Geographical System of Herodotus, London, 1800, P. 245, 683.
٤ Herodotus, I, P. 212.
٥ Rennel, P. 259.
٦ Die Araber, I, S. 167.
٧ Grohmann, Arabien, S. 23.
٨ Flavius Josephus, Antiquitates, XV, 7, 9.

العربية الغربية للبيع والشراء . ولا أستبعد أن تكون (غزة) فرضة عرب العربية الغربية في هذا الوقت أيضاً . وقد كان تجار العربية الشرقية يقصدونها أيضاً على الرغم من بعد المسافة واتساع الشقة ، فقد كان أهل (الجرعاء) (جرهـا) (Gerrha) ، يقصدونها ، حاملين معهم تجارة الهند وما وراء الهند ، فتأخذهم إبلهم عن طريق الواحات والآبار الى (دومة الجندل) ومنها الى جنوب فلسطين فغزة حيث يبيعون ما عندهم ويشترون ما يحتاجون اليه من حاصلات البحر المتوسط ثم يعودون بأموالهم الجديدة الى بلادهم لبيعها هناك ، أو لشحنها الى ما وراء الخليج من أرضين .

وفطن (دارا) لخطورة المشروع القديم ، مشروع ربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر عن طريق نهر (النيل) فاحتفره[1] . وقد وضع أساس هذا المشروع (رامسيس الثاني) ، غير أنه امتلأ بعد ذلك بالرمال مراراً ، فاحتفره من جاء من بعده من الملوك[2] . وذكر (هيرودوتس) أن الفرعون (نخو) (Necos) كان قد أرسل بعثة دخلت الخليج العربي ، أي البحر الأحمر في اصطلاح اليونان عن طريق القناة التي حفرت بين النيل وهذا البحر ، وكانت هذه البعثة من الفينيقيين للبحث عن أعمدة (هرقل) (Hercules)[3] .

ويرى بعض الباحثين احتمال كون الملك الذي حكم (غزة) في هذا العهد ، ملك من ملوك اللحيانيين[4] :

واهتم (دارا) بأمر التجارة البحرية ، فأمر (Skylax) من اليونانيين بالذهاب الى البحر الأحمر والمحيط الهندي لكشف تلك المناطق وتكوين صلات تجارية معها ، فوصل هذا المكتشف اليوناني — على رواية هيرودوتس — الى الهند . وهو بذلك أول يوناني يبلغنا خبره حتى الآن ، يدخل البحر الأحمر ، ويطوف حول جزيرة العرب للوصول الى الهند[5] . ويفتخر (دارا) في كتابته التي أشار فيها الى مشروع القناة ، بأنه استطاع أن يسيّر السفن عبرها من مصر الى أرض فارس[6] . وقد كانت هذه الخطوة من أعظم الخطوات في تأريخ العالم، ولا شك .

١ Herodotus, I, P. 302, Bk. IV, 39.
٢ Herodotus, I, P. 302, Note. I.
٣ Herodotus, I, P. 302.
٤ Arabien S. 23.
٥ Montgomery, Arabia, P. 69.
٦ Montgomery, Arabia, P. 69, Breasted, History of Egypt, PP. 276, 584, R.W. Rogers, A History of Ancient Persia, PP. 119.

وقد أثرت تأثيراً خطيراً في التجارة العربية في البحار ، اذ فتحت البحر الأحمر والبحر العربي والمحيط الهندي لمنافسين أقوياء ، صار بامكانهم شراء تجارة افريقية والهند وسواحل جزيرة العرب بأسعار رخيصة ، لبيعها في الأماكن التي تريدها والتي كانت تشتريها بأثمان عالية ، وبذلك أخذت من التجار العرب جزءاً كبيراً من أرباحهم ، وألحقت بتجارتهم مع البحر المتوسط ضرراً لا يستهان به :

ولما تحدث (دارا) عن الأرضين التي خضعت لحكمه ، أدخل (عربايا) (أربايا) (Arabaya)[1] في جملة تلك البلاد . وقد دعاها بـ (ماتو أربي) (Matu A-ra-bi) في النص البابلي[2] . ولم يقصد (دارا) بـ (عربايا) كل البلاد العربية ، أي جزيرة العرب وبادية الشأم ، وانما أراد بها بادية الشأم ، كما تحدثت ذلك في شرح المراد من (ماتو أريبي) في الكتابات المسمارية . وقد كانت هذه البادية مثل جزيرة العرب موطناً للأعراب منذ وجد العرب .

وقد ذكر (هيرودوتس) ان بلاد العرب كانت تقدم جزية سنوية من الطيب الى (دارا)[3] ، الا انه لم يحدد مكان البلاد العربية ، ولم يشر الى العرب الذين دفعوا هذه الجزية . ولما كانت هذه الجزية طيباً ، فانها تحملنا على التفكير في أن العرب الذين دفعوها كانوا من رجال القوافل المتاجرة التي تأتي بتجارة العربية الجنوبية لبيعها في بلاد الشأم ومصر ، وكان الطيب والبخور من أهم المواد الرائجة في أسواق تلك البلاد . وهذه الجزية لم تكن بالمعنى السياسي المفهوم الذي يدل على خضوع العرب للفرس ، وانما كانت جعالة سنوية تدفع للسلطات الحاكمة على تلك الأسواق مقابل السماح لها بالاتجار ، أو ان (هيرودوتس) عنى ببلاد العرب الأرضين التي كان يسكنها العرب ودخلت تحت حكم الفرس ، وعنى بالعرب الذين دفعوها بعض القبائل العربية التي كانت تقيم في مصر أو طور سيناء

---

١ The Sculptures and Inscription of Darius the Great, London, 1907, Col. 1, 15, P. XIIII, 4.

٢ « ماتواربي » في النص البابلي ،
Col. I, 5, Sculptures, P. XIVIII, The Babylonion Version, 5, 161.

٣ Inscription of Darius on the Rock at Behiston, Translated, by Sir H. Rawlinson, London, 1873, P. III, Herodotus, 3, 91, 97.

أو بادية الشأم .

ويلاحظ ان (هيرودوتس) كان قد ذكر ، كما بينت قبل قليل، ان العرب لم يخضعوا للفرس في ايام كورش ولا في ايام قمبيز ، وانما كانوا حلفاء للفرس. فيظهر من كلام (هيرودوتس) الأخير ان العرب الذين خضعوا للفرس ولدارا، هم من أعراب بادية الشأم، ومن كانت منازلهم وديارهم في فلسطين وفي طور سيناء[1].

ويرى بعض المؤرخين ان (العربية) التي خضعت لحكم (دارا) لم تكن جزيرة العرب ، وانما منطقة الجزيرة الواقعة بين (بابل) وآشور[2] ، مثل منطقة (سنجار) (Singara) و (الحضر) ، وكان العرب قد توغلوا فيها[3] .

وقد ورد في خبر للمؤرخ (اكسينوفون) (Xenophon) وفي كتابة لـ (كيرش الثاني) (Kyros II) (Kyrush II) ، ما يفيد ان العرب كانوا قد خضعوا لحكم الأخمينيين . فورد في كتابة (كيرش) مثلاً : « ملوك الأرضين الغربية الذين يقطنون في الخيام » ، وذلك في جملة من اعترف بسلطان الملك عليهم . غير ان هذه الإشارات لا تفيد ان العرب كانوا قد خضعوا لهم مدة طويلة ، كما انها لا تدل على خضوع حقيقي لهم ، ولا سيما وقد ذكرنا ان (هيرودوتس) قد صرح ان العرب لم يخضعوا لحكم الفرس[4] .

وأشار (هيرودوتس) الى وجود فرقة عسكرية من العرب في الجيوش الفارسية التي كانت بمصر ، كان على رأسها قائد فارسي دعاه (ارسامس) (Arsames) ، وقال انه أحد أولاد (دارا)[5] . ويظهر ان هؤلاء الجنود هم من عرب مصر ، أي من العرب القاطنين هناك ، ولعلهم من سكان الأرضين المحصورة بين النيل والبحر الأحمر[6] . وقد كان العرب ينزلون هذه المنطقة والمنطقة شرقي النيل وجنوب البحر المتوسط والمتصلة بطور سيناء منذ القديم . فالعرب كانوا من قدماء سكان مصر ، لا كما يتصور بعضهم من انهم دخلوا مصر في

---

١ Die Araber I, S. 167. ff.

٢ Mesopotamien, In: RE. 15, (1931), 1131, F. H. Weissbach, Die Keilschriften der Achaimeniden (1911), S. 82. f. R.G. Kent, Old Persian, (1953), 136.

٣ Die Araber, I, S. 165.

٤ Die Araber, I, S. 171.

٥ The Cambridge Ancient History, Vol. IV, P. 190.

٦ Herodotus, II, P. 148, Note. I.

الفتح ، وانهم لذلك غرباء لا صلة هناك بينهم وبين المصريين قبـــل الإسلام : والمعروف ان (الهكسوس) الذين حكموا مصر كانوا من العرب في رأي كثير من العلماء ، بل في نظر قدماء المصريين ، كما حكى ذلك الراهب المصري المؤرخ (مانيتو) (Manetho) في كتابه المؤلف باليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد[1] .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان (هيرودوتس) قصد بـ (العرب) النبط[2] ، غير ان بعضاً آخر يخالف هذا الرأي ويعترض عليه ، فيرى ان النبط لم يظهروا ظهوراً بيناً الا في أواخر ايام الأخمينيين ، وكان ظهورهم في (بطرا) (Petra) وما حولها . أما مملكتهم فلم تقم الا في القرن الثاني قبل الميلاد . ولهذا فإن العرب الذين قصدهم المؤرخ اليوناني ، هم عرب آخرون ، وان الأرض التي أرادها ذلك المؤرخ هي : طور سيناء حتى شواطىء نهر النيل[3] .

ويظهر من الإشارات الواردة في التوراة ، أن عرب الضواحي ، كانوا يقيمون في مستوطنات ، عرفت بـ (حاصير) (حازير) (حاصور) (حصور) (Haser) في العبرانية . ومعناها : (محاط) . وقد كانوا أشباه بدو في الواقع ، أناخوا في هذه المواضع واستقروا بها وامتهنوا الرعي[4] .

وكان الجنود العرب يلبسون كما يقول (هيرودوتس) نوعاً من الثياب يسمى (زيرا) (Zeira) ، وهي ثياب طويلة تشد عليها الحُزُم ، ويحمل مرتـدوها على أكتافهم اليمنى قسياً طوالاً . أمـــا في حاله عدم استعمالها ، فيعلقونها على ظهورهم[5] . والظاهر أن هذه الكلمة هي تحريف (السِّيرا) . و « السِّيرا » : « ضرب من البرود، وقيل : ثوب مسير ، فيه خطوط تعمل من القز كالسيور . وقيل : برود يخالطها حرير . وقيل : هي ثياب اليمن »[6] . ويلاحظ أن الثياب المخططة كانت ولا تزال شائعة بين شعوب الشرق الأدنى ، فلا تستبعد أن تكون كلمة (Zeira) تصحيفاً أو تحريفاً للسيراء ، وهي أقرب اليها من لفظة (إزار) أو مئزر على ما أرى .

---

١ W. G. Waddell, Manetho, P., 85, (The Loeb Classical Library), London, 1948.

٢ Olmstead, History of the Persian Empire, 1948, P. 88.

٣ Die Araber, I, 170, 284, 290.

٤ Die Araber, I, S. 170.

٥ Herodotus, II, P. 147.

٦ اللسـان (٦/٥٧) ، ديوان قيس بن الخطيم (ص ٦) .

وقد ألف الفرس – بالاضافة الى الجنود الغرب المشاة – كتائب عربية من الهجانة ، تقاتل على الإبل ، يلبسون ملابس المشاة ، ويحملون أسلحتهم . يقول (هيرودوتس) : إنهم كانوا يوضعون في مؤخرة الفرسان ، تجنباً لانزعاج الخيل إذا ما سارت مع الإبل[1] .

وقد استعملت دول أخرى كتائب عربية من الهجانة في جملة القوات المحاربة، للعمل في البوادي خاصة ، حيث يصعب على المشاة والفرسان اجتيازها وتعقيب الأعراب . ولا تزال كتائب الهجانة محافظة على حياتها بين القوات المحاربة ، ولحماية الحدود الصحراوية حتى الآن .

وقد ألف العرب فرقة محاربة من الرماة بالسهام ومن المقاتلين ، اشتركت في جيش (احشويرش) (Xerxes) (٤٨٥ – ٤٦٥ ق. م.)[2] :

وقد أدخل الملك (احشويرش) (العربية) (Arabia) في جملة البلاد التي كانت قد خضعت لحكمه ، وذلك في نص من أيامه ، عثر عليه . وقد ذكر (العربية) بعد موضع (Maka) وقبل موضع (Gandara)[3] .

---

١ Herodotus, II, P. 152.

٢ Die Araber, I, S. 171.

٣ Pritchard, P. 316.